ج - اعضاء راكاح «قوميون عرب، بلباس ماركسي»: وفي معرض الحملة ضد عقد مؤتمر الناصرة، وما سببته من تطورات، نال حزب راكاح القسط الاوفر من غضب المسؤولين الاسرائيليين وسخطهم، وتلقى اعضاؤه كثيرا من السباب والشتائم من قبل الاسرائيليين؛ ومنها أنهم «اعداء وخونة لاسرائيل، ولهم أثر كبير في هذا المؤتمر، وإن جميع النعوت السيئة لا تكفي لوصف فيلنر وزملائه في القطاع العربي» (المصدر نفسه، العدد ٢٢١٢، ٢ و٣/١٢/١٩٨٠، ص٥)، وذلك على حد تعبير جدعون بات، وزير الصناعة والتجارة في الحكومة الاسرائيلية. ولم يكتف الوزير بات بذلك، بل طلب من العرب الذين لا يرغبون بالعيش في اسرائيل الرحيل، وباستطاعتهم أن يفعلوا ذلك خلال نصف ساعة.

واستعرض أحد الصحافيين تاريخ النشيطين العرب في حزب راكاح، الذين يقفون وراء اجتماع شفاعمرو وميثاق حزيران (يونيو)، ومنهم، بشكل خاص، توفيق طوبي وأميل توما، ويصفهم بانهم «قوميون عرب بلباس ماركسي». وجاء في عرضه لتاريخ هؤلاء الشيوعيين العرب فقال، أن أول حزب شيوعي انقسم أثناء أحداث سنة ١٩٣٦ لأن معظم اعضائه التحقوا بمجموعات الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين، ثم أنشأ الشيوعيون العرب في سنة ١٩٤٤ عصبة التحرر الوطني، التي شارك في تأسيسها اميل توما، واميل حبيبي. وفي أثناء حرب ١٩٤٨ لحقوا بالمفتي إلى لبنان، حيث نشروا هناك بيانا أعلنوا فيه «تأييد كل خطوة من خطوات المؤسسات الوطنية الهادفة إلى تحرير فلسطين وتحقيق استقلالها الموحد غير المجزأ» (يعقوب كبرون، يديعوت أحرونوت، ١٠/٩/١٩٨٠). ولكن مع قيام اسرائيل، توحد الشيوعيون العرب واليهود مرة أخرى في حزب ماكي، والشيء المعروف هو أن «معظم عرب اسرائيل، الذين التحقوا بحزب ماكي، فعلوا ذلك بسبب أنهم رأوا فيه الاطار السياسي القانوني الوحيد الذي يستطيعون أن يعبروا، من خلاله، عن ارائهم الوطنية» (المصدر نفسه). ولكن سرعان ما ظهر ضعف هذا اللقاء الايديولوجي بين العرب واليهود في نهاية سنة ١٩٥٧، وبداية سنة ١٩٥٨، أثناء فترة «النهوض القومي العربي بعد نجاح عبد الناصر في تحويل هزيمة سيناء إلى نصر سياسي ووقوفه ليعلن اتحاد مصر وسوريا» (المصدر نفسه). وقد انتقلت هذه الاجواء إلى قيادات ماكي العرب الذين «اقاموا تنظيما سريا قوميا داخل حزبهم دون معرفة الاعضاء اليهود» (المصدر نفسه). وقد استمرت تلك الخلافات حتى سنة ١٩٦٤، حيث انسحب العرب مع بعض اليهود وانشأوا حزب راكاح. وبعد عشر سنوات، في أيار (مايو) ١٩٦٧، اثناء التوترات التي سبقت حرب حزيران (يونيو)، عاد الخيال إلى «النشيطين من الشيوعيين العرب، بأن لحظة اخضاع اسرائيل أتت... [أما] الآن، وفي عصر سلاح النفط، أثار الشعور بقوة العرب المتعاظمة، مرة أخرى، المتطرفين القوميين في راكاح، وجعلهم يطالبون بالانضمام إلى من يبدو لهم أنه يقودهم - سابقا كان المفتي وبعده عبد الناصر، والآن ياسر عرفات - لتحقيق رغباتهم ضد دولة اسرائيل» (المصدر نفسه).

وماذا بعد؟

لقد دأب الاسرائيليون دائما على ترديد مقولة مضمونها، أن العرب «لا يتعلمون من التجارب»، لكن يبدو أنهم هنا بالذات لا يتعلمون من تجاربهم مع العرب في فلسطين المحتلة. لقد عادوا إلى ترديد الاسطوانة اياها عن اندماج «الاقلية العربية» في حياة الدولة، في ظل «الديمقراطية» الاسرائيلية، والمساواة طبعاً. والاندماج هنا، في القاموس الاسرائيلي، لا يعني التمتع بالحقوق والمساواة مع اليهود، أو الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني على أرضه، بل هو يعني، أولاً وأخيراً، بقاء العرب «مواطنين» من الدرجة الثانية أو الثالثة في أغلب الاحيان، ورضوخهم لهذه الحالة، ولا بأس إذا تطلب الامر زيادة تشغيلهم في قطاع الخدمات، أو تحسين شروط السكن لهم، وتنفيذ بعض المشاريع البلدية والقروية، الخ.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو هل أن اصدار أمر حظر مؤتمر الناصرة، معناه الغاء ما قبله وما بعده بالنسبة لحركة بلورة الهوية القومية لعرب الارض المحتلة منذ العام ١٩٤٨. وربما لا نجد للاجابة على هذا التساؤل، أبلغ من عبارات رددتها مهاجرة يهودية شاركت في مخيم العمل التطوعي الذي نظمته بلدية الناصرة في مطلع شهر آب (اغسطس) المنصرم، وحضره اكثر من خمسة